مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة - إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكّمة

تصدر سنويًا عن

كليّة الدّعوة الإسلاميّة

العدد الخامس والثلاثون

لسنة 1443 هجرية الموافق: 2021 ميلادية

معاني لفظ اللسان في آي القرآن

أ. خالد محمد كارة
كلية العلوم والتقنيات الطبية
جامعة طرابلس

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، أحمده -سبحانه- أنزل القرآن بأفصح لسان، ونزّهه عن التكرار والهذيان، وحفظه من الزيادة والنقصان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفصح من تكلم بلسان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب الجديدان، أما بعد:

فأحمد الله ابتداء أن يسر لي طلب العلم، وقذف في قلبي حبّه، ويسّر لي مشايخ وأساتذة أتعلم على يديهم، وأنهل من علمهم، ومن هؤلاء الدكتور عبد الله محمد النقراط -بارك الله في علمه وصحته-.

ولا شك أن القرآن الكريم جاء من عند الله العليم الحكيم، فهو كتاب قد أتقنه الله أيّما إتقان، وحفظه من ركاكة اللفظ والهذيان، وقد تكالب أعداء الإسلام قديما وحديثا على التشكيك في هذا القرآن، ولم يألوا جهدا في ذلك، إلا أن الله قد خيّب مساعيهم، فقيّض لكتابه علماء أجلاء، قد انبروا للدفاع عنه، وقضوا أعمارهم للذوذ عنه، ألا وإن من أعظم شبهاتهم، وأشدها لبسا على العامّة، هي

قولهم أن في القرآن تكراراً وإعادة تدل على ضعف فيه، وخلل يُنقصه، وأن هذا ليس من أساليب الفصاحة في شيء، - فبئس ما يقولون - وهذا هو حال من لا يفقه لغة العرب، - وللأسف - تبعهم في ذلك بعض من يتكلّم بلسان العرب لجهل منه.

وقد ردّ العلماء الأجلاء قديما وحديثا على هذه الشبهة، ودحضوها، إلا أنهم في معرض ردّهم عليها قد اختلفوا اختلافَ تنوع، لا اختلاف تضاد، فمنهم من أثبت وصف التكرار، وبيّن الغاية والفائدة منه في القرآن، ومدى البلاغة والدقة في هذا التنوع والتكرار، قال السيوطي - رحمه الله -: «التكرير وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط»[1]، وقال ابن تيمية - رحمه الله -: «وليس في القرآن تكرار محض؛ بل لابد من فوائد في كل خطاب»[2]، وقال في معرض حديثه عن قصة موسى - عليه السلام -: «وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات»[3].

ومنهم من نحا منحىً آخر، وقال: ننزه القرآن عن لفظ التكرار وأتى بلفظ «التصريف»، فهذا الدكتور عبد الله النقراط - نفع الله به - في كتابه الماتع «بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم» بعد أن سرد أقوال القائلين بإطلاق مصطلحي التكرار والترداد في القرآن الكريم قال: «أنا لا أنكر أن بعض أنواع التكرار والترداد من الفصاحة، ولكن أرى استبدال مصطلح تصريف القول بهما؛ لما في هذين المصطلحين من المساوئ التي يراها بعض العلماء الذين تعرضوا لهذين

(1) الإتقان في علوم القرآن 3/ 280.
(2) مجموع الفتاوى 14 / 408.
(3) المصدر نفسه 19 /167.

المصطلحين»[1]، ثم سرد هذه المساوئ التي تنضوي تحت هذين المصطلحين كالكراهة، والقبح، وعدم الفائدة، والحشو الزائد، والسآمة والملل[2].

وبعد أن ذكر العلماء الذين رفضوا أن يُنسب مصطلح التكرار للقرآن الكريم قال: «فلو تأملنا الآيات المتشابهة، والآيات التي يرون أنها مكررة، لتبيّن لنا اختلاف كبير في بعض مفرداتها، واختلاف في سوابقها ولواحقها، وأسباب نزولها، ومن هنا فإن هذا التنوع البياني في الآيات، هو تصريف للقول في القرآن الكريم، في أعلىٰ مراتبه، وله مقاصد ومرام سامية يرمي إليها في كل مرة؛ بل في كل كلمة من آي كتاب الله العزيز، ذلكم البيان الرائع، والتصرف العجيب، الذي أعجز الإنس والجن فرادىٰ ومجتمعين»[3]، وهو منحٌ يؤيده قول النبي - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -: «إياك وما يعتذر منه»[4].

والشاهد من الحديث: أن القائلين بمصطلح التكرار يضطرون، في أكثر الأحيان، للاعتذار والإيضاح أنهم لا يقصدون المعنىٰ السيئ من هذا المصطلح، وإنما كان يكفيهم مؤونة الاعتذار والإيضاح لو أنهم انصرفوا للفظ التصريف.

ولا أدل علىٰ بلوغ القرآن أعلىٰ درجات البلاغة، تصريف المعاني والألفاظ

---

(1) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 1 / 57.

(2) ينظر المصدر نفسه 1 / 51.

(3) ينظر المصدر نفسه 1 / 52 ـ 57، ففيها كلام غاية في الروعة والإتقان ولولا الإطالة لذكرته بنصه هاهنا.

(4) رواه الطبراني في الأوسط 4 / 358 الحديث 4427 واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: أتىٰ رجل النبي صلىٰ الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله حدثني بحديث واجعله موجزا، فقال له النبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ: «صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَأْيَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ»، ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ كتاب الزهد باب الحكمة 2 / 1396 رقم 4171 وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي معلقا عليه في سنن ابن ماجه: «إسناده ضعيف (...) لكن كون الحديث من أوجز الكلمات وأجمعها يدل علىٰ قربه للثبوت فيتأمل»، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم 3776 .

في كل باب من أبواب القول.

فأما تصريف الألفاظ فأحيانا يورد القرآن الغرض الواحد بألفاظ متعددة، وطرق مختلفة ببراعة فائقة، تُعجز البلغاء، وتُبهر الفصحاء، وتصريف الألفاظ يتضمن لا محالة تصريف المعاني.

وأحيانا يكون التصريف في المعاني مع اتحاد اللفظ، وهو غاية في البلاغة والتنويع؛ لأنه لا تكرار في القرآن، ولا يوجد أسلوب يؤدي معنىً يؤديه الأسلوب الآخر، وإن كان يبدو ظاهرا أن اللفظين يتحدان في جوهر المعنى، ولكن عند التأمل فالمعنى مختلف، وهذا النوع من التصريف هو الذي يتناوله هذا البحث.

وبعد استخارة الله ـ تعالى ـ وقع اختياري على لفظ «اللّسان» في القرآن الكريم ذلكم اللّفظ الذي ورد خمساً وعشرين مرة بمعان متعددة، وأنا على يقين أني لن أوفي هذا اللّفظ قدره، ولن أستوفي معانيه، وأنّى لأحد أن يحيط بألفاظه، وهو كتاب الله الحكيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يستطيع مقارعة فصاحته البلغاء.

ولا شك أن لكل باحث هدفًا له من بحثه، وهدفي هو:

1 - ابتغاء رضوان الله - تعالى -، واحتساب الوقت الذي استغرقه منّي في سبيل الله - جل وعلا -.

2 - التعرف على هذا الإعجاز القرآني وتعلمه، ما دامت قد أتيحت لي الفرصة بوجود أستاذ وأخ، له باع لا تخطئه العين في هذا المجال - نحسبه كذلك ولا نزكّيه على الله -.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي، وقسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة كانت كارّةً على ما سبقها، فأجملتُ فيها، ما فُصل قبلها، وأودعتُ فيها توصية لي ولطلاب العلم الشرعي، لعل الله أن ينفع بها من قرأها، وألحقتُ البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يبارك للدكتور

«عبد الله» في صحته وأن ينفعه وينفع به، فقد كان لي أبا وأخا ومعلما.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

==========

المطلب الأول ـ دلالة اللّسان، والسور التي ورد فيها وآياتها، ومعناه

أولاً- صيغ اللّسان:

اللّسان: هو قطعة اللّحم التي خلقها الله في فم الإنسان، وجعلها آلة النطق فيه، وكذلك هو وسيلة الإنسان لتذوق المطعومات ومعرفة حلوها من مرّها.

وقد ورد لفظ اللّسان في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة، تنوعت فيها ألفاظه، وتصرفت فيها معانيه، فجاء على أربعة أوجه: -

أحدها: اللّسان بعينه، أي قطعة اللحم التي خلقها الله - تعالى، والثاني: بمعنى اللّغة، والثالث: بمعنى الدعاء، والرابع: أتى بمعنى الذكر الحسن، والثناء[1].

أما الألفاظ التي ورد بها لفظ اللّسان في القرآن:

فقد جاء لفظ اللّسان بصيغة المفرد مجردة من أي ضمير، وجاء مضافا إلى ضمير المفرد المخاطب، وجاء مضافا إلى ضمير المفرد المتكلم (لسان - بلسان - لسانا - بلسانك - لسانك - لساني).

وجاء كذلك بصيغة الجمع مجردة من أي ضمير، وجاء بصيغة الجمع مضافا إلى ضمير المخاطبين، وجاء مضافا إلى ضمير الغائبين (بألسنة - بألسنتهم - ألسنتهم - بألسنتكم - ألسنتكم).

ثانيا - السور التي ورد فيها لفظ اللّسان وآياتها:

ورد في سورة آل عمران، وهي سورة مدنية عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

(1) ينظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، باب اللسان، ص 533 ـ 534.

وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وورد في سورة النساء، وهي سورة مدنية عند قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾[2].

وورد في سورة المائدة، وهي سورة مدنية عند قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[3].

وورد في سورة النحل، أربع مرات، وهي سورة مكية، الأولى عند قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾[4]، والثانية والثالثة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[5]، والرابعة عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[6].

وورد في سورة إبراهيم، وهي سورة مكية عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[7].

وورد في سورة مريم مرتين، وهي سورة مكية، الأولى عند قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[8]، والثانية عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[9].

(1) سورة آل عمران الآية 78.
(2) سورة النساء من الآية 46.
(3) سورة المائدة الآية 78.
(4) سورة النحل الآية 62.
(5) سورة النحل الآية 103.
(6) سورة النحل الآية 116.
(7) سورة إبراهيم الآية 4.
(8) سورة مريم الآية 50.
(9) سورة مريم الآية 97.

وورد في سورة طه، وهي سورة مكية عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾[1].

وورد في سورة النور مرتين، وهي سورة مدنية، الأولىٰ عند قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾[2]، والثانية عند قوله تعالىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[3].

وورد في سورة الشعراء، ثلاث مرات، وهي سورة مكية، الأولىٰ عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾[4]، والثانية عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[5]، والثالثة عند قوله تعالىٰ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[6].

وورد في سورة القصص، وهي سورة مكية، عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[7].

وورد في سورة الروم، وهي سورة مكية عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[8].

وورد في سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية عند قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[9].

وورد في سورة الدخان، وهي سورة مكية عند قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ

(1) سورة طه الآية 27.
(2) سورة النور الآية 15.
(3) سورة النور الآية 24.
(4) سورة لشعراء الآية 13.
(5) سورة الشعراء الآية 84.
(6) سورة الشعراء الآية 195.
(7) سورة القصص الآية 34.
(8) سورة الروم الآية 22.
(9) سورة الأحزاب الآية 19.

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وورد في سورة الأحقاف، وهي سورة مكية عند قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وورد في سورة الفتح، وهي سورة مدنية عند قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾[3].

وورد في سورة الممتحنة، وهي سورة مدنية عند قوله تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[4].

وورد في سورة القيامة، وهي سورة مكية عند قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[5].

وورد في سورة البلد، وهي سورة مكية عند قوله تعالى: ﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[6].

ثالثاً ـ معنى لفظ اللّسان، الجذر لَسَنَ:

اللّسانُ: هو جارحة الكلام، وهو ذلك العضو المعروف في الفم، وهو آلة النطق، ويقال لمن أجاد الكلام به: لَسِن، واللَّسَنُ: الفصاحة، واللِّسْنُ: الكلام، واللُّغة، واللَّسَن: جودة اللِّسان.

ولفظ اللِّسان يُذَكَّر ويُؤَنَّث، ولذلك اختلفوا في جمعه، فمن ذكّره قال في جمعه: أَلْسِنةٌ، ومن أنَّثه قال في جمعه: أَلْسُنٌ[7]. قال قَسَاس الكندي:

---

(1) سورة الدخان الآية 58.
(2) سورة الأحقاف الآية 12.
(3) سورة الفتح الآية 11.
(4) سورة الممتحنة الآية 2.
(5) سورة القيامة الآية 16.
(6) سورة البلد الآية 9.
(7) ينظر المخصص باب الحمل والولادة ـ اللسان ـ 1 / 132.

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبا هُنَيٍّ أَلا تَنْهَى لسانَك عَنْ رَداها[1]

فأنث لفظ اللّسَان هنا، واللِّسْنُ بكسر اللام اللُّغة، وإذا أردت باللّسان اللّغة أنثت، يقال: فلان يتكلم بِلِسَان قومه، ويقال: إن لِسَانَ الناس عليك لحسنة وحسن، أي: ثناؤهم[2]، وقد يطلق لفظ اللّسَان ويراد به الكلمة نفسها فيؤنث حينئذ. قال الشاعر:

أَتَتْني لسانُ بني عامِرٍ أَحاديثُها بَعْد قَوْلٍ نُكُرْ[3]

فذهب بها هنا إلى الكلمة فأنثها، والعرب تطلق لفظ اللّسان على الرِّسالة كذلك، قال أَعشى باهلة:

إِنّي أَتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بها من عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ[4]

فاللِّسان هنا بمعنى الرِّسالة والمقالة، والإلْسَان: إبلاغ الرسالة، وأَلْسَنَه ما يقول أَي أَبلغه، وأَلْسَنَ عنه، أي بلَّغ، ويقال أَلْسِنّي فلاناً وأَلْسِنْ لي فلاناً كذا وكذا أَي أَبْلِغْ لي. قال عدي بن زيد:

بَلْ أَلْسِنُوني سَراةَ العَمِّ إنكُمُ لَسْتُم من الْملك والأثقال أَغْمَارًا[5]

أي: أبلغوا لِي وعني، وقد يُذكَّر إن قُصد به معنى الكلام. قال الحطيئة:

نَدِمْتُ على لِسَانٍ فاتَ مِنّي فلَيْتَ بأَنه في جَوْفِ عَكْمِ[6]

(1) البيت ذكره أبو منصور في تهذيب اللغة مادة لسن.

(2) ينظر تهذيب اللّغة، ولسان العرب مادة لسن.

(3) البيت لمرقش الأكبر، وهو في المفضليات للمفضل الضبي ص235، والإكمال في رفع الارتياب لابن ماكولا 7 / 183.

(4) البيت ذكره ابن منظور في اللسان مادة سخر.

(5) ديوان عدي بن زيد العبادي ص53.

(6) ديوان الحطيئة ص 109.

فذكّره؛ لأنه أراد به الخبر[1]. ويطلق اللّسَان على المتكلم باسم القوم[2]، ويقال: لكل قوم لِسْنٌ: أي لغة يتكلمون بها[3]، ولَسَنتُه أَلْسُنه لَسْناً: إذا أخذته بلسانك. قال طرفة:

وإذا تَلْسُنُني أَلْسُنُها إنني لستُ بموْهُونٍ فَقِرْ[4]

وفي الأثر عن عمر ـ رضي الله عنه ـ وذكر امرأة فقال: «إن دخلت عليك[5] لَسَنتْكَ»، أي: أخذتك بلسانها، يصفها بالسَّلاطة وكثرة الكلام والبَذَاءِ[6]، واللِّسَانُ الثناء. قال كُثيّر:

نَمَتْ لأَبي بكرٍ لسانٌ تتابعتْ بعارفةٍ مِنْهُ، فخَصَّتْ وعَمَّتِ[7]

ولَسَنه ولاسَنه ناطقه، ويَلْسُنه لَسْناً كان أَجود لساناً منه، ورجل ملْسُون: أي حلو اللّسان يقول ولا يفعل، فهو كذاب؛ لأنَّه إذا عُرِفَ بذلك لُسِنَ، أي تكلَّمت فيه الأَلْسِنَة، ولَسِن فلان فلانا أي عابه بلسانه وذكره بالسوء، وذو اللّسانين: هو المنافق، والمراوغ، ذو وجهين، وطويل اللّسان: أي بذيء قوله[8].

(1) ينظر تهذيب اللّغة، ولسان العرب مادة لسن.

(2) ينظر المخصص باب الفصاحة 1 / 208.

(3) المصدر نفسه.

(4) ديوان طرفة بن العبد ص 42.

(5) «دخلت عليك» كذا ورد في تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة لسن، وذكره كذلك ابن حجر الهيثمي في كتابه «الإفصاح عن أحاديث النكاح» ص166، حديث رقم120، بضمير المخاطب، ورواه ابن قتيبة ـ كتاب السلطان ـ من قول عمر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ «دخلت عليها» ينظر عيون الأخبار 55/1ـ56، ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا بهذا اللفظ كذلك 1 / 48، قال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة421/7: «قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً».

(6) ينظر تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة لسن.

(7) ينظر لسان العرب مادة لسن.

(8) ينظر معجم مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط مادة لسن.

فائدة:

قال الثعالبي: «إذا كان الرجل حاد اللّسان قادراً على الكلام فهو ذَرِبُ اللّسان، وفَتِيقُ اللّسان، فإذا كان جيد اللّسان فهو لَسِن، فإذا كان يضع لسانه حيث أراد فهو ذَليق. فإذا كان فصيحاً بيَّنَ اللّهجة فهو حُذاقِيٌّ. فإذا كان مع حدَّة لسانه بليغًا فهو مِسْلاق. فإذا كان لا تعترض لسانه عقدة، ولا يتحيَّفُ بيانَه عجمةٌ، فهو مِصْقَع. فإذا كان لسانَ القوم، والمتكلم عنهم فهو مِدْرَه»[1].

المطلب الثاني: اللسان في القرآن بمعنى الجارحة

جَرَح يجْرَح جَرحا: أثّر فيه، وجَرَّحَه: أكثر فيه ذلك، وجَرَحَه بلسانه: شتمه، وجَرَح الشيء واجْتَرَحَه: كَسَبه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[2].

والجارحة وهي للإنسان: أعضاؤه، كاليدين، والرجلين، واللسان، وجمعها جوارح، وسُميت هذه الأعضاء بالجوارح؛ لأنهن يكسبن صاحبهن الخير والشر، ويكن سبب دخوله للجنة أو النار، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3] أَي اكتسبوها[4].

بل إن اللّسان هو أجرح الجوارح، فالجوارح تبع له يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله علي وسلم ـ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ أَعْضَاءَهُ تُكَفِّرُ[5] لِلِّسَانِ تَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[6]. ويُعبّر باللّسانِ عن الكلام؛ لأنه يَنشأ منه

(1) فقه اللغة ص 90.
(2) سورة الأنعام من الآية 60.
(3) سورة الجاثية من الآية 21.
(4) ينظر تهذيب اللّغة، ولسان العرب مادة جرح.
(5) تُكَفِّرُ: تذل وتقر بالطاعة له، وتخضع لأمره. ينظر غريب الحديث لابن الجوزي باب الكاف مع الفاء.
(6) رواه الترمذي في السنن كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ باب ما جاء في=

وفيه.

وقد جاء اللّسان بمعنىٰ الجارحة في ثلاث عشرة آية.

الآية الأولى ـ في سورة آل عمران عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

تتحدث هذه الآية والتي قبلها عن اليهود ومكرهم بالإسلام، وإحدىٰ طرق حربهم له، فهم لم يكونوا يحاربونه في الميدان بالسيف والرمح فقط، ولم يكونوا يؤلّبون عليه الأعداء ليحاربوه بالسلاح فقط، وإنما كانوا يحاربونه بكل قوة في عقيدته أولا، كانوا يحاربونه بالدس والتشكيك، ونثر الشبهات بتحريف الآيات، وتغيير كلام الله رب البريات، ومن هذا التحريف لَيُّ لسانهم بكلام الله.

واللَّيُّ: هو الْإِرَاغَةُ، وهي إدارة الجسم غير الْمُتَصَلِّبِ إلىٰ غير الصَّوْبِ الذي هو ممتد إليه، ومن ذلك لَيُّ الحبل، ولَيُّ العنان للفرس إذا أدرته إلىٰ جهة غير صَوْب سيره، ولّيُّ العنق، أو الرأس بمعنىٰ الالتفات، وأَلْوَىٰ الرجل برأسه ولَوَّىٰ رأسه أي أعرض به، وأماله من جانب إلىٰ جانب[2]، لَيُّ اللّسان: التغيير والتحريف، يقال: لَوَىٰ لسانه علىٰ كذا أي: غيّره.

قال أبو حفص الدمشقي: قال ابن الخطيب: «لَيُّ اللسان شبيه بالتشدُّقِ، والتنطُّع، والتكلُّف - وذلك مذموم - فعبَّر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلَيِّ اللّسان، ذمّاً لهم، ولم يُعَبِّر عنها بالقراءة. والعرب تفرّق بين ألفاظ المدح والذم في الشيء الواحد، فيقولون في المدح: خطيب مِصْقَع، وفي الذم: مِكْثارٌ، ثَرْثارٌ فالمراد بقوله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[3] أي: بقراءة ذلك الكتاب

= حفظ اللسان رقم 2407، والحديث روي مرفوعا وموقوفا، والوقف أقوىٰ، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد، ولم يرفعوه، وهو الأصح.

(1) سورة آل عمران من الآية 78 .

(2) ينظر تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة لوي، والتحرير والتنوير 3 /136.

(3) سورة آل عمران من الآية 78 .

الباطل»[1].

والمعنى: أنهم يميلون بالتوراة بألسنتهم، ويحرفونها عن المقصود بها، قال أبو حفص الدمشقي: «وقُرئ «لِيَحْسبوه» - بياء الغيبة - والمراد بهم المسلمون - أيضاً - كما أريد بالمخاطبين في قراءة العامة، والمعنى: ليحسب المسلمون أن المحرَّف من التوراة»[2].

واللَّيُّ إما أن يكون بمعنى تحريف اللّسان عن طريق تغير حرف من حروف الهجاء إلى حرف آخر يقاربه، فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفاً يتغير به المعنى؛ لتعطي الكلمة في أذن السامع صوت كلمة أخرى.

فهناك بعض أحبار اليهود يغيرون بعض الحروف في الكلمة فيحرفون الكلام عن مواضعه، ويبدّلون كلام الله؛ ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، هو التوراة، وما هو منها في شيء؛ لأنهم قد غيروا المعنى من الوجه الصحيح الذي يفيده ظاهر اللفظ إلى معنى آخر سقيم يوافق أهواءهم ونواياهم السيئة، ومقاصدهم الذميمة. ويقولون: هذا من عند الله، أوحاه الله إلى نبيه موسى ـ عليه السلام ـ، وما هو من عند الله، وهم لأجل دنياهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون. وهذا نظير قولهم ـ أي اليهود ـ في السلام على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «السام عليك»[3]، أي الموت[4].

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: «فلعلهم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية

(1) اللباب في علوم الكتاب 5 /341.

(2) المصدر نفسه.

(3) إشارة إلى حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام 8 /57 رقم 6256 من حديث عائشة ـ رضي الله عنها قالت: « دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

(4) ينظر لباب التأويل للخازن 1 /262، والتحرير والتنوير 3 /136.

نطقوا بحروف من كلماتها بين بين؛ ليوهموا المسلمين معنىٰ غير المعنىٰ المراد، وقد كانت لهم مقدرة ومراس في هذا»[1].

أو أن يكون المعنىٰ أنهم كانوا يقرؤون ما ليس من التوراة من كلامهم الذي وضعوه بالكيفيات، أو اللّحون التي كانوا يقرؤون بها التوراة، حتىٰ ليُخيل للسامع أنهم يقرؤون كتاب الله التوراة. فهم يُبَدِّلون كلام الله، ليُوهِموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وهو كذب علىٰ الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله[2].

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ: «أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما غيّروا من صفة النبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ، وآية الرجم، وغير ذلك»[3].

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ: «ذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه، وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية، وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضا وإما تصريحا، فالتعريض في قوله ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4] أي: يلْوُون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

وهذا أعظم جرما ممن يقول علىٰ الله بلا علم، هؤلاء يقولون علىٰ الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنىٰ الحق، وإثبات المعنىٰ الباطل، وتنزيل اللّفظ الدال علىٰ الحقّ علىٰ المعنىٰ الفاسد، مع علمهم بذلك»[6].

وهناك معنىٰ آخر ذكره ابن عاشور فقال: «ويحتمل أن يكون اللَّيُّ هنا مجازا

(1) التحرير والتنوير 3 /136.
(2) ينظر تفسير ابن كثير 2 /65.
(3) معالم التنزيل 2 /59.
(4) سورة آل عمران من الآية 78.
(5) سورة آل عمران من الآية 78.
(6) تفسير السعدي ص136.

عن صرف المعنى إلى معنى آخر كقولهم: لَوَى الحجة أي ألقى بها على غير وجهها، وهو تحريف الكلم عن مواضعه: بالتأويلات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، والموضوعات الكاذبة، وينسبون ذلك إلى الله»[1].

ولا شك أن حمل المعنى على الظاهر أولى من حمله على المجاز، والتكلف في تأويله.

الآية الثانية ـ في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[2].

من اليهود فريق دأبوا على تبديل كلام الله وتغييره عمَّا هو عليه افتراء على الله، وهذه الآية تصف جريمة من جرائمهم، ذلك بأن منهم فريقاً لم يألُوا جهداً للنيل من دين الإسلام، ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل لقد بلغ من التوائهم، وسوء أدبهم مع الله ـ عز وجل ـ أن يحرفوا الكلام عن المقصود به، فتصرح ألسنتهم بالكلمة الطيبة، ثم يغلب عليهم الحقد الدفين في قلوبهم، فيغيرونها بكلمة خبيثة.

والفرق بين الآيتين: أن اليهود في الآية الأولى كان لَيُّ الكلام منهم منصبا على كلام الله – تعالى –، وها هنا لَيُّ الكلام منهم في مخاطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

فهم يلْوُون ألسنتهم بسبّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألفاظ ظاهرها السلامة، وهي في حقيقتها وقصدهم السب والشتم، وهذا هو دأبهم الكذب والخداع والمكر والخيانة وعدم المواجهة، وقد فضحهم الله في هذه الآية وفضح قصدهم بمناداتهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا قالوا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ «راعنا» نطقوا بحروفها الأولى نطقا سليما، ثم سرعان ما تضطرب ألسنتهم بها.

ورَعُن الرجل يَرعُن رعَنا، فهو رَعِن وأَرْعَن، والأَرْعَن: هو الأَهوج، والرُّعُونة

(1) التحرير والتنوير 3 /136.

(2) سورة النساء من الآية 46.

هي الحُمق، وراعونا في كلام اليهود سبٌّ، وشتم[1].

ففي ظاهر لفظ الآية أنهم يقولون للرسول ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ: سمعنا قولك، واسمع- غير مأمور بالسمع، وهي صيغة غاية في الأدب، ويقولون: راعنا: أي: انظر إلينا نظرة رعاية لحالنا، واهتمام لوضعنا، وانتظرنا حتىٰ نكلمك بما تريد.

أما في اللَّيّ الذي يلْوُونَه، فهم يقولون: سمعنا، ويسرون قولهم: وعصينا، ويقولون: اسمع منَّا - لا سمعت، ولا كنت سامعاً، يدعون عليه - عليهم من الله ما يستحقون - وراعنا يميلونها إلىٰ وصف «الرعونة»، فيقولون: «راعونا» بكل تبجح وسوء أدب، والتواء ومداهنة، وتحريف للكلم عن مواضعه وعن معانيه. ويظنون أن اللفظ - لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور- أنه يروج علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلْوُون به ألسنتهم إلىٰ الطعن في الدين، والطعن في الرسول - صلىٰ الله عليه وسلم -[2].

قال ابن كثير: «ذلك أن اليهود كانوا يُعَانُون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله- فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سَلَّموا إنما يقولون:

السامُ عليكم. والسام هو: الموت[4]. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ «وعليكم». وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا»[5].

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، ولسان العرب مادة رعن.
(2) ينظر تفسير السعدي ص 180.
(3) سورة النساء الآية 46.
(4) تقدم تخريجه.
(5) تفسير ابن كثير 1 / 373.

وقال ابن عاشور: «وقولهم: «راعنا» أتوا بلفظ ظاهره طلب المراعاة، أي الرفق، والمراعاة مفاعلة مستعملة في المبالغة في الرعي على وجه الكناية الشائعة التي ساوت الأصل، ذلك لأن الرعي من لوازمه الرفق بالمرعي، وطلب الخصب له، ودفع العادية عنه. وهم يريدون بـ«راعنا» كلمة في العبرانية تدل على ما تدل عليه كلمة الرعونة في العربية، وقد روي أنها كلمة «راعونا» وأن معناها الرعونة فلعلهم كانوا يأتون بها، يوهمون أنهم يعظمون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بضمير الجماعة»[1].

فهم لشدة مكرهم يثنون ألسنتهم أثناء كلامهم ليكون الكلام مشبها لغتين بأن يشبعوا حركات، أو يقصروا مشبعات، أو يفخموا مرققا، أو يرققوا مفخما؛ ليعطي اللّفظ في السمع صورة تشبه صورة كلمة أخرى، فالكلمة قد تخرج من زنة إلى زنة، ومن لغة إلى لغة بمثل هذه التصرفات، كل ذلك ﴿ طَعْناً فِي الدِّينِ ﴾[2]؛ لأنهم أضمروا في كلامهم قصداً خبيثاً فكانوا يقولون لإخوانهم، ومن يليهم من حديثي العهد بالإيمان: لو كان محمد رسولا لعلم ما أردنا بقولنا، فلذلك فضحهم الله بهذه الآية[3].

وقد نهى الله ـ تعالى ـ المؤمنين أن يتشبّهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، ومتابعتهم في قولهم: «راعنا» اغترارا بهم، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾[4].

الآية الثالثة ـ في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾[5].

هذه الآية تحكي جهل المشركين بربّهم ـ جلّ في علاه ـ فجعلوا له ـ سبحانه ـ ما

(1) التحرير والتنوير 4 /145.
(2) سورة النساء من الآية 46.
(3) ينظر التحرير والتنوير 4 / 145.
(4) سورة البقرة من الآية 104.
(5) سورة النحل من الآية 62.

يكرهونه لأنفسهم من اتخاذ البنات، لذلك كانوا يَئِدُونهُنّ وهُنّ صغيرات، فيخبر الله ـ تعالىٰ ـ في هذه الآية عن شدة سفه المشركين؛ حيث يأنفون ويستحيون من البنات، ثم ينسبون ذلك إلىٰ اللَّه، ويضيفونهنّ إليه.

قال ابن عاشور: «فكان ذلك الجعل ينطوي علىٰ خصلتين من دين الشرك، وهما: نسبة البنوة إلىٰ الله، ونسبة أخس أصناف الأبناء في نظرهم إليه»[1].

فالكفار نسبوا ظلما وزورا، وكذبا وافتراء الملائكة لله ـ تعالىٰ ـ وقالوا هن بنات الله، يُجاهرون بألسنتهم بهذا الكذب والافتراء، ثم ادعوا بألسنتهم ـ كذلك ـ كذبا وبهتانا أن لهم الحسنىٰ، قال الطبري «وأما الحُسنىٰ التي جعلوها لأنفسهم: فالذكور من الأولاد، وذلك أنهم كانوا يئدون الإناث من أولادهم، ويستبقون الذكور منهم، ويقولون: لنا الذكور ولله البنات»[2].

وقال ابن الجوزي: «﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3] وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله ـ تعالىٰ ـ، قاله الزجاج. والثالث: أنها الجنّة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنّة، قال المشركون: إِن كان ما تقولونه حقاً، لندخلَنَّها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي»[4].

وإن من أعجب العجب أن يجعل الكفار لله ما يكرهون من البنات، ثم يزعمون كاذبين أن سينالهم الخير والإحسان جزاء علىٰ ما يجعلون ويزعمون.

ووصْفُ الله ـ تعالىٰ ـ للألسنة بالكذب هو تعبير يجعل الألسنة ذاتها كأنها الكذب ذاته، أو صورة له، تحكيه وتصفه بذاتها، فاللّسان هو من يعبر عن الكذب ويفصح عنه ويصوره، ولطول ما قالت هذه الألسنة الكذب، وعبرت عنه صارت

(1) التحرير والتنوير 14 /191.
(2) تفسير الطبري 17 /231.
(3) سورة النحل من الآية 62.
(4) زاد المسير في علم التفسير 2/ 566.

رمزاً عليه ودلالة له.

وقد أردىٰ هؤلاء لسانهم في نار جهنّم ـ عياذا بالله ـ فقال ـ سبحانه ـ مخبراً بحالهم: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾[1] أي: حقًّا واجباً لا شك فيه أن لهؤلاء القائلين لله البنات، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم، ولأنفسهم الحسنىٰ عند الله يوم القيامة النار[2]. ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[3] قال القرطبي: «متروكون منسيون في النار، قاله ابن الأعرابي، وأبو عبيدة، والكسائي، والفراء، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد»[4].

الآية الرابعة ـ في سورة النحل كذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[5].

هذه الآية تتكلم عن آفة عظيمة من آفات اللّسان ترديه وتهلكه، فهي تتكلم عمن تجرأ بلسانه علىٰ مقام التشريع دون علم ودراية، فالتحريم والتحليل لا يكونان إلا بأمر من الله. فهما تشريع. والتشريع لله وحده لا لأحد من البشر. وما يدعي أحد لنفسه حق التشريع بدون أمر من الله إلا مفتر، والمفترون علىٰ الله لا يفلحون.

فمن أطلق لسانه فقال هذا حلال وهذا حرام بلا نص، فهذا هو الكذب عينه، المفترىٰ علىٰ الله. والذين يفترون علىٰ الله الكذب ليس لهم إلا المتاع القليل في الدنيا، ومن ورائه العذاب الأليم، والخيبة والخسران في الآخرة.

قال محمد المظهري: «ووصف الألسنة بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة، وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم، ولذلك عد من فصيح الكلام، كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف

(1) سورة النحل من الآية 62.
(2) ينظر تفسير الطبري 17 / 232.
(3) سورة النحل من الآية 62.
(4) تفسير القرطبي 10 / 120.
(5) سورة النحل من الآية 116.

السحر»[1].

قال الطبري: «وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ: «وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبِ» هذا بخفض الكذب، بمعنى: ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾»[2].

وقال ابن عاشور: «وانتصب الكذب على المفعول المطلق لـ«تصف»، أي وصفا كذبا؛ لأنه مخالف للواقع؛ لأن الذي له التحليل والتحريم لم ينبئهم بما قالوا ولا نصب لهم دليلا عليه»[3]. فليس لهذا التحليل والتحريم معنى إلا الكذب فقط[4].

الآية الخامسة ـ في سورة طه عند قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[5]

لا شك أن من أساسيات الدعوة لله ـ تعالى ـ طلاقة اللّسان، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفصح العرب على الإطلاق، وقد أوتي جوامع الكلم، مع أنه لم يجلس لمعلم، وإنما علّمه ربه، قال - تعالى-: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[6]، والأنبياء جميعهم كانوا أعلى الناس قدرًا في قوة حجتهم، وحسن منطقهم، وسعة صدورهم، ولكل نبي من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ صولات وجولات مع قومه، حتى أسكتوا خصومه، وغلبوهم بقوة البيان، وحسن المنطق، وصدق الحديث.

لذلك كان من دعاء موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لربه ومولاه، أن يفك عقدة لسانه، ويطلق لسانه بالمنطق، فيحسن التبليغ؛ لتصل دعوته، وتُفهم حجّته،

(1) تفسير المظهري 5 / 386.
(2) تفسير الطبري 17 / 314.
(3) التحرير والتنوير 14 / 310.
(4) ينظر الوسيط 3 / 89.
(5) سورة طه من الآية 27.
(6) سورة النساء الآية 113.

فيحصل المقصود التام من المخاطبة، والمراجعة والبيان عن المعاني[1].

ولم يقل موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: عقدة لساني بالإضافة، بل جاء باللّفظ مُنَكّراً ليُشعر السامع أنها عقدة شديدة، تمنع أداء رسالة اللّسان، كما تمنع عقدة الحبل سلاسته[2].

وقال الراغب: «يعني به من قوّة لسانه، فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوّته التي هي النّطق به»[3].

ذلك أن موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قد أصيب بآفة في لسانه تمنعه من فصيح الكلام، وإيضاح المعاني، فسأل ربه أن يحل تلك الآفة والرُّتُوتة[4] التي كانت به[5].

فدعا ربه أن يزيل ذلك التعقد والحبسة التي في لسانه؛ لئلا يستخفّ به النّاس، وينفروا منه، وأن يمنحه قوة وبيانا وقدرة علىٰ محاجّة فرعون، وغلبته؛ حتىٰ يفقه هو والملأ من حوله قوله ويعقلوه؛ وحتىٰ لا تأخذهم العزّة بالإثم، فلا يقبلوا له قولا[6].

قال ابن كثير: «وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول العيّ، ويحصل لهم فهم ما يريد منه، وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقية، قال الله ـ تعالىٰ ـ إخباراً عن فرعون

(1) ينظر تفسير السعدي ص504.
(2) ينظر التحرير والتنوير 16 / 212.
(3) المفردات في غريب القرآن مادة لسن ص740.
(4) الرُّتَّة: التمنع في أول الكلام، والأَرَتُّ: هو الذي لا تظهر مقاطع كلماته. ينظر لسان العرب مادة رتت.
(5) ينظر تفسير الطبري 18 / 299.
(6) ينظر تفسير المراغي 16 / 104.

أنه قال: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[1] أي يفصح بالكلام»[2].

الآية السادسة ـ في سورة النور عند قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾[3].

اللّسان هو آلة تناقل الكلام وانتشاره، فإن كان الكلام خيرا تحصل علىٰ الأجر قائله، وإن كان الكلام شرّاً وكذباً وزوراً استحقّ العقاب قائله.

والكلام المقصود في هذه الآية هو تناقل كلام الإفك عن أمّنا أم المؤمنين الطاهرة العفيفة المبرأة عائشة بنت الصّدّيق ـ رضي الله عنها وأرضاها، ولعن الله من أبغضها وجفاها ـ، فصار الكلام هاهنا لسانا يتلقىٰ عن لسان، بلا تدبر ولا ترو، ولا فحص ولا إمعان نظر، حتىٰ لكأن القول لا يمر علىٰ الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب، ويقولون قولًا مختصا بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب؛ لأنه ليس بتعبير عن وعي منهم، ولا بعقلهم ولا بقلبهم. وإنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول.

ويقال: تلقىٰ فلان عن فلان الكلام، بمعنىٰ أخذه منه، وتلقفه عنه، وإنما وُصف حديث الإفك بذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذُكِر يَلْقىٰ آخر، فيقول: أوَمَا بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليُشيع عليها بذلك الفاحشة. وذكر الفرّاء أنها في قراءة ابن مسعود، وأبيّ – رضي الله عنهما –: «إذ تَتَلقَّوْنَه»[4] بتاءين[5].

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها تقرأ هذه الآية: «إِذْ تَلِقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ»[6] بفتح التاء، وكسر اللام، وضم القاف، وتفسّر ذلك فتقول: إنما هو وَلْق الكذِب، أي

(1) سورة الزخرف الآية 52.

(2) تفسير ابن كثير 5 /249.

(3) سورة النور من الآية 15.

(4) معاني القرآن للفراء 248/2.

(5) ينظر تفسير الطبري 19/ 130.

(6) معاني القرآن للفراء 248/2.

يكذِبون ويستمرّون عليه، ويرددونه بألسنتهم[1].

قال ابن عاشور: «وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي مع أن تلقي الأخبار بالأسماع؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر، جعلت الألسن مكان الأسماع مجازاً بعلاقة الأيلولة. وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا تروّ ولا تريث. وهذا تعريض بالتوبيخ أيضاً. وأما قوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ فَوَجْهُ ذكر بأفواهكم، مع أن القول لا يكون بغير الأفواه؛ أنه أريد التمهيد لقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: هو قول غير موافق لما في العلم، ولكنه عن مجرّد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه، وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحقّقه وإلا فهو أحد رجلين: أفن[2] يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر، فيوشك أن يقول الكذب فيحسبه الناس كذابا. وفي الحديث: «بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[3]، أو رجل مموه مراء يقول ما يعتقد خلافه»[4].

ولتقييد القول بالأفواه، مع أن الكلام لا يكون إلا بالفم، نكتة لطيفة وهي أن الشيء المعلوم يكون في القلب، ثم يترجم عنه اللّسان، وإلى ذلك أشار الشاعر[5]:

---

(1) ينظر تفسير الطبري 19/ 130، وتفسير القرطبي 204/12.

(2) الأَفَنُ: النقص، ورجل أَفِين ومَأْفون أي ناقص العقل، ضعيف الرأي، ويقال للأحمق مأفون. ينظر لسان العرب مادة أفن.

(3) رواه مسلم موقوفا عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في مقدمة صحيحه باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (1 /10) رقم 5، وقد رواه أبوداود مرفوعا عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» كتاب الأدب، باب في الكذب، (298/4) رقم 4992، وصححه الألباني في الصحيحة (38/5) رقم 2025.

(4) التحرير والتنوير 18 / 177.

(5) البيت نسبه غير واحد للأخطل غوث بن غيات، وقد أنكر بعض العلماء كابن تيمية وغيره أن يكون له، ولم أجده في ديوان الأخطل بتحقيق مهدي محمد ناصر الدين.

إن الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فهم لسفههم جعلوا هذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في الأفواه، ويجري على ألسنتهم، يتفكّهون به في مجالسهم، من غير ترجمة عن علم قام في قلوبهم، ويقيناً منهم بحدوثه[1].

قال ابن المنير في تعليقه على تفسير الزمخشري: «ويحتمل أن يكون المراد المبالغة، أو تعريضا بأنه ربما يتمشدق ويقضى تمشدق جازم عالم، وهذا أشدّ وأقطع، وهو السر الذي أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[2] والله أعلم»[3].

وقال أبو زهرة: «أي وسائل التلقي والعلم، لم تكن معاينة ولكن هي الألسنة، وتقولونه مرددين ما سمعتم بأفواهكم، ولم تؤمن به قلوبكم، ولم تعاينوه وتروه، بل انتقلت الكلمات من الألسنة ورددتها الأفواه من غير علم أو تثبت، فالألسنة قالته من غير علم، ورددته الأفواه من غير علم، واتخذوه سَمَرا، يرطبون فيه المجالس بالإثم من غير علم، ظنا منهم أنه هين لَا أثر له، ولا إثم فيه، وأن التفكه بهذا القول هو أمر هين»[4].

الآية السابعة ـ في سورة النور كذلك عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5].

يوم القيامة ينكر الإنسان ما اقترفه في الدنيا واكتسبه من ذنوب لهول ما يرى، فيُنطق الله الجوارح لتشهد على صاحبها بما اقترفه، فتشهد عليهم أيديهم، وأرجلهم، وألسنتهم بما كانوا يقترفون من قول وفعل، فالجوارح شواهدُ على ابن

(1) ينظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 4 / 19.
(2) سورة آل عمران من الآية 118.
(3) الكشاف 3 /219.
(4) زهرة التفاسير 10 / 5160.
(5) سورة النور الآية 24.

آدم بعمله، على غير اختيار منه، فهذه الجوارح التي كانت مطيعة لصاحبها ولا تتصرف إلا بإرادته، تخرج عن إرادته في ذلك المشهد العصيب، مستجيبة لإرادة الله وأمره، شاهدة على صاحبها، حتى إن صاحبها ليسبها، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «أَلَا تَسْأَلُونِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ؟» فَقَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَهَادَةَ شَاهِدٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ: أَوْ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ: فَيُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ مَرَّاتٍ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُمْ وَسُحْقًا، عَنْكُمْ كُنْتُ أُجَادِلُ»[1].

والإنسان في هذه الدنيا يتكلم بلسانه متى ما شاء، وينطق بلسانه ما يُريد، فالمتكلم في الحقيقة هو الإنسان؛ لأن اللّسان مَا تحرَّك إلا بمراده، فاللّسان آلة خاضعة لإرادة صاحبها، أمَّا في الآخرة فسوف تنعكس الصورة، فاللّسان ينطق على غير مراد صاحبه، خارجاً عن سيطرته؛ لأن صاحبه لا إرادة له.

فتشهد على الناس يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا به، وتشهد أيديهم وأرجلهم وتتكلم بما عملوا في الدنيا، وتشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان[2].

وقد خصّ بعض العلماء هذه الآية بمن خاضوا في حادثة الإفك ليس غير، فهؤلاء الذين قذفوا عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها، ولعن الله من أبغضها وجفاها، ولم يتوبوا منه قبل موتهم، فأبوا أن يشهدوا على أنفسهم في الدنيا، ستنطق ألسنتهم في الآخرة ـ دون إرادتهم ـ بما أبت أن تنطق به في الدنيا، وتكون شاهدة عليهم يوم القيامة بأنهم كانوا كاذبين مفترين، وللإفك مروجين، فيؤخذون

(1) رواه الحاكم في المستدرك رقم 8778 (4 /644)، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(2) ينظر تفسير القرطبي 12 / 210، وتفسير الشعراوي 16/ 10238.

بإقرارهم، وبما شهدت به عليهم ألسنتهم التي خرست في الدنيا عن قول الحق، وانطلقت تهذىٰ بالزور، وتنشر البهتان.

وتشهد عليهم كذلك أيديهم وأرجلهم بما عملوا من منكر، فاليدان، والرجلان شهود أربعة، تشهد علىٰ هذا الادعاء الذي يدعيه اللسان علىٰ صاحبه، وكأن هذا اللسان متهم عند صاحبه؛ لأنه لم ينطق أبدا إلا بالزور والبهتان، فإذا جاء صاحبه ليردّ شهادته عليه، قام من كيانه شهود أربعة، كلها تصدق هذا اللّسان، الذي لم يصدق أبداً إلا في هذا الموقف.

وهذا هو بعض السر في تقديم اللّسان علىٰ الأيدي والأرجل فكأنه هو المدّعي، وكأن شهوده علىٰ دعواه هم باقي الجوارح[1].

وللعلماء في التوفيق بين هذه الآية، وبين قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2] أقوال عديدة، فقال الطبري: «فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم علىٰ أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد علىٰ بعض، لا أنَّ ألسنتهم تنطق وقد ختم علىٰ الأفواه»[3]، أما الإمام البغوي فقد ذهب إلىٰ أن هذه الشهادة من الألسنة هي قبل أن يختم علىٰ الأفواه[4].

وتمسك أبو القاسم النيسابوري بظاهر الآيتين فقال: «يجوز أن يخرج الألسنة، ويختم علىٰ الأفواه»[5].

وقال بعضهم إن هذا في حال، وذلك في حال، أو كل منهما في حق قوم غير الآخرين، أو هذا في حق القذفة، وذاك في حق الكفرة، قال القاسمي عن هذا القول: «ليس بشيء؛ إذ لا منافاة، فالسرّ في التصريح بالألسنة هنا، وعدم

(1) ينظر التفسير الوسيط 3 /314، والتفسير القرآني 9 / 1255.
(2) سورة يس الآية 65.
(3) تفسير الطبري 19 /140.
(4) ينظر تفسير البغوي 3 / 396.
(5) إيجاز البيان 2 /599.

ذكرها هناك، أن الآية لما كانت في حق القاذف بلسانه، وهو مطالب معه بأربعة شهداء، ذكر هنا خمسة أيضا، وصرح باللّسان الذي به عمله ليفضحه، جزاء له من جنس فعله»[1].

ولعل الصواب هو أن الختم على الأفواه معناه منع اللّسان عن التكلم بما يريده وينفعه ـ حسب ظنه ـ اختياراً، كالإنكار والاعتذار، لا أن ينطق اللّسان من دون إرادة صاحبه[2].

الآية الثامنة ـ في سورة الشعراء عند قوله تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾[3].

تُبين هذه الآية رغبة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أداء الرسالة كما يريدها الله، وحرصه على تنفيذ مراد الله ـ تعالى ـ، فاعتذر لربه وشكا له مخاوفه من أن لا ينطق بالعبارة التي ترسلني بها إليهم لساني، فيعجز لساني في المحاجة على ما أُحب، وأرغب؛ لذلك طلب من ربّه أن يكون أخوه ظهيراً له[4].

ولا شك أن عدم مساعدة اللّسان لبيان المراد في إقامة الحجة الدافعة للتكذيب من شأنه أن ينشئ حالة من ضيق الصدر، تنشأ من عدم القدرة على تصريف الانفعال بالكلام. وتزداد كلما زاد الانفعال، فيزداد الصدر ضيقا[5].

وقد تكلمت بشيء من التفصيل، مما يغني عن إعادة الكلام وذلك عند الحديث عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾[6].

إلا أن الفرق بين الإفصاحين، أن المانع من الإفصاح في قوله ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن

(1) تفسير القاسمي 7 / 341.
(2) ينظر المصدر نفسه.
(3) سورة الشعراء من الآية 13.
(4) ينظر تفسير الطبري 19 / 337.
(5) ينظر التفسير المظهري 7 / 61 ـ 62.
(6) سورة طه من الآية 27.

لِّسَانِي ﴾[1] هو لآفة كانت بلسانه.

أما هاهنا فالمانع من الإفصاح والتبيين أن موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخبر ربه أنه قد يغضب إذا ما كذّبوه، ويضيق صدره إذا ما أعرضوا عنه، وإذا ما ضاق صدره، كَلَّ لسانه عن العبارة والبيان، لذلك دعا ربه أن يؤازره بأخيه هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبيا معه، يحمل أعباء الرسالة معه، ويكون ظهيراً له[2].

الآية التاسعة ـ في سورة القصص عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[3].

في هذه الآية يطلب موسىٰ ـ عليه الصلاة السلام ـ من ربه أن يسانده بأخيه هارون، ليستطيع أداء الأمانة كما يريدها الله ـ عز وجل ـ إذ إن هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان أبين من موسىٰ لساناً، وأفصح بيانا، وكانت في لسان موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عقدة، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان، وإقامة الحجة[4].

والفرق بين هذه الآية والآية التي قبلها، أن المقصود هاهنا باللّسان هو لسان هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد وصفه موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالفصاحة، وحسن البيان، والقدرة علىٰ تبيين ما يريده، فهو قد نشأ بينهم، وهو ـ لا شك ـ أعلم بلسانهم من موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي تركهم، لذلك دعا ربه بأن يؤيده بهذا اللسان الفصيح.

أما في الآية التي في سورة الشعراء فالمقصود باللّسان هو لسان موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ لذلك فقد طلب من الله ـ تعالىٰ ـ أن يرسل معه أخاه هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليساعده في البيانِ مخافة أن لا يستطيع البيانَ.

---

(1) سورة طه من الآية 27.

(2) ينظر تفسير الماتريدي 8 / 52.

(3) سورة القصص الآية 34.

(4) ينظر تفسير الطبري 19 /577، وتفسير النسفي2 / 642.

الآية العاشرة ـ في سورة الأحزاب، عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[1].

السَّلْقُ: بسطٌ بقهرٍ إما بيد أو لسان، وقيل: شدة الصوت، وسَلَق لغة في صَلَق، أي صاح. قال الأصمعي: هو الصوت الشديد، وسَلَقه بلسانه يَسْلُقه سَلْقا: أسمعه ما يكره فأكثر عليه، وسَلَقه بالكلام سَلْقاً إذا آذاه، واشتد عليه باللّسان، وسَلَقوكم: أي جهروا فيكم بالسوء من القول[2].

فهذه الآية تصف حال المنافقين مع المسلمين، فهم أحدّ الناس ألسنة على المسلمين، وأكثرهم قولا، وأقلهم فعلا، فبضاعتهم كلها، زيف من الكلام، وباطل من الأقوال، ينفقون منه في سخاء بلا حساب، لكنه ليس الكلام الليّن الجميل، بل الكلام القبيح الجارح للنفوس[3].

فهاهم هنا لجبنهم، وخوفهم، يصيرون كالمغمى عليه من الموت، فإذا ذهب خوفهم وأمنوا، وانتهى الكرب، وانكشف الغمّ، خرجوا من جحورهم، فارتفعت أصواتهم بعد ارتعاش، وانتفخت أوداجهم بعد انكماش، وانتفشوا بعد انزوائهم، وأطلقوا لألسنتهم المسعورة الجارحة العنان في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين، بكل بهتان من القول، وخبيث من الكلام[4].

فما إن انتهت الحرب حتى آلموا الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ بألسنتهم وآذوهم، وادعوْا كذباً وزوراً البلاء في القتال، والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال، وصاحوا فيهم بملء أفواههم، من دون حياء، بألسنة حادة قاطعة، ومخاطبة شديدة: أعطونا حقنا، فلستم بأحق بالغنائم منا، فقد حاربنا معكم، ولولا نحن ما انتصرتُمْ على عدوكم، إلى غير ذلك من التطاول بالقول،

(1) سورة الأحزاب من الآية 19.
(2) ينظر لسان العرب، وعمدة الحفاظ مادة سلق 2 / 1236 ـ 1237.
(3) ينظر التفسير القرآني 675/11.
(4) ينظر تفسير النسفي 3 / 23.

والإيذاء والتأنيب[1].

الآية الحادية عشرة ـ في سورة الفتح عند قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2].

هذه الآية تبيّن حقيقة النفاق الحقيقي العقدي، وأن قول اللّسان إن لم يوافق تصديقا في القلب فإنه غير نافع صاحبه، فهؤلاء المنافقون يقولون كلاما من طرف اللّسان غير مطابق لما في الجنان، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وقد كذبهم الله في اعتذارهم للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفضحهم.

فالمنافقون هاهنا لم يكونوا صادقين في اعتذارهم لم يكن بسبب انشغالهم بأموالهم وأهليهم، بل ما تخلفوا إلا اعتقادا منهم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين سيُغلبون، ولن يسْلموا من القتل، ولن يرجعوا إلى أهليهم أبداً، فهو الهلاك المحقق لهم، ثم إنهم كاذبون كذلك في طلبهم الاستغفار من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو ليس بصادر عن حقيقة ولا توبة، ولا ندم على ما سلف منهم من معصية التخلف، إذ إنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم لم يستغفر لهم[3]. وفي الآية كما قال القاسمي: «إيذان بأن اللّسان لا عبرة به، ما لم يكن مترجما عن الاعتقاد الحق»[4].

الآية الثانية عشرة ـ في سورة الممتحنة عند قوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[5].

قال ابن عاشور: «فبسط الأيدي حقيقة في مدها للضرب والسلب، وبسط الألسنة مجاز في عدم إمساكها عن القول البذيء»[6].

---

(1) ينظر تفسير الشعراوي 19/ 11974 ـ 11975.
(2) سورة الفتح من الآية 11.
(3) ينظر تفسير المراغي 93/26، والتفسير القرآني 407/13.
(4) تفسير القاسمي 8 /493.
(5) سورة الممتحنة الآية 2.
(6) التحرير والتنوير 99/1.

فهذه الآية تصف حال المنافقين مع المسلمين، ويُخبر الله ـ تعالىٰ ـ المؤمنين بحقيقة مفادها أنّ مُداراة هؤلاء الكفرة غير نافعة في الدنيا، وأنها ضارَّة لهم في الآخرة، فهم إنْ يتمكنوا منكم، ويظفروا بكم، وتقعوا بين براثنهم تظهر عداوتهم لكم وتنجل، ويفتضح غدرهم، وتنكشف خيانتهم ونفاقهم، ويتصرفون معكم تصرف العدو الأصيل، ويُشبعون غيظهم منكم، فتنبسط إليكم أيديهم بضَرَركم، ضرباً وسلباً، وتعذيباً وقتلًا، وتنبسط ألسنتُهم وتطول بالإيذاء سبّاً، وشتماً، وكل ما يقدرون علىٰ عمله، وأشدُّ من هذا كله أنَّهم لن يقتنعوا إلا بكفركم وارتدادكم عن دينكم.

فهم يريدون أَن يلحقوا بالمؤمنين مضارّ الدنيا من شتم وقتل وتمزيق، ومضارّ الدّين من ردّهم كفاراً، وهي أغلىٰ غاياتهم، وأول أمانيهم، لحرصهم علىٰ ألا ينالوا خيراً[1].

الآية الثالثة عشرة ـ في سورة القيامة عند قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[2].

أي لا تحرك يا محمد ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ بالقرآن لسانك وشفتيك قبل أن ينتهي جبريل من إلقاء الوحي، لتأخذه علىٰ عجلة، فتعجل بأخذه وحفظه مخافة أن يتفلّت منك، ثم علل النهي عن العجلة بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[3] أي: إن علينا أن نجمعه لك حتىٰ تثبته في قلبك[4].

وهو نهيٌ يراد به النصح، والإرشاد والتوجيه للنبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ وما ينبغي أن يكون عليه حاله مع الوحي، فنهاه عن العجلة في تحريك لسانه، وشفتيه بكلمات القرآن، بل طلب منه الانتظار حتىٰ ينتهي جبريل ـ عليه السلام ـ

(1) ينظر تفسير الثعالبي 417/5.
(2) سورة القيامة الآية16.
(3) سورة القيامة الآية17.
(4) ينظر تفسير النسفي 3 /572، وتفسير المراغي 29 /151 .

من الوحي[1].

والنطق بالوحي يكون باللّسان، وبالشفتين، بل حركة الشفتين أظهر في المشاهدة، وقد يستشكل على أحدهم عدم ذكرهما، وأجاب ابن عرفة عن ذلك بقوله: «فإن قلت: هلا قيل: لَا تحرك به شفتيك كما في أول البخاري، عن ابن عباس: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ»[2]، فالجواب أن اللّسان أكثر ترادفًا من الشفتين»[3].

الآية الرابعة عشرة ـ في سورة البلد عند قوله تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[4].

يمتنّ الله ـ تعالى ـ على عباده بنعمه التي لا تحصى، من تِلْكُمُ النعم أن ميزه بالنطق، وأعطاه أداته المحكمة: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[5] وهما أداة البيان والتعبير، وبهما يملك الإنسان أن يفعل الشيء الكثير. فالكلمة قد تقوم مقام السيف وأكثر أحيانا، وقد تهوي بصاحبها في النار، أو تدخله الجنّة.

فمن نعم الله على الإنسان أن جعل له لسانا لافِظا ينطق به، ويكون ترجمانا عما يختلج في فؤاده، وما يتردد بصدره، ويكون لسانه أداة للتآلف والتعارف بينه وبين بني البشر جميعا، حتى تعمر الأرض وتستقر الحياة فيها.

ومن نعمه ـ كذلك ـ أن جعل له شفتين يطبقهما على فمه، يستر بهما ثغره، منعا من تناثر الطعام، ويستعين بهما على النطق السديد لتقيم التفاهم بين الناس، كما وأن الشفتين مظهر من مظاهر تناسق خلق الإنسان وكماله[6].

وفي معرض ذكر الله لهذه النعمة إشارة إلى الإنسان أنه إذا أبان عما في نفسه، فإنما يبيّن بما وهبه له الله من هذه الجارحة التي يتكلم بها، فإذا غرّه حديثه، أو

(1) ينظر التفسير القرآني 15/ 1322.
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الوحي باب: بدء الوحي رقم 5 (1 / 8).
(3) تفسير ابن عرفة 4 / 323.
(4) سورة البلد الآية 9.
(5) سورة البلد الآية 9.
(6) ينظر تفسير النسفي 3 /644.

قوة حجته، فليس فضل ذلك راجعا إليه، وإنما الفضل لمن وهبه ذلك.

وذكر الله ـ تعالى ـ الشفتين مع اللّسان؛ لأنّ الإبانة تحصل بهما معا، فلا ينطق اللسان بدون الشفتين، ولا تنطق الشفتان بدون اللسان[1].

قال ابن عاشور: «ومن دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللّسان ولا على الشفتين، خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه يقولون: ينطق بلسان فصيح، ويقولون: لم ينطق ببنت شفة، أو لم ينبس ببنت شفة؛ لأن المقام مقام استدلال، فجيء فيه بماله مزيد تصوير لخلق آلة النطق»[2].

المطلب الثالث: اللّسان بمعنى اللّغة

لكل قوم لغتهم الناهضة بنهوضهم، والنائمة بخمولهم، والعاجزة بعجزهم، واللغة تموت بموت أهلها.

والاختلاف في ألسن الناس سنة كونية، كاختلاف الألوان بين البشر، فالألسن تتغير بتغير الأقوام والأمم، فنجد العجمة والعروبة، وكل لغة مُبينة لأهلها.

قال ابن العربي: «ولكل أمة تقطيع في الأصوات على نظام يعبر عما في النفس، ولهم صورة في الخط تعبر عما يجري به اللّسان، وفي اختلاف ألسنتكم وألوانكم دليل قاطع على ربكم القادر العليم الحكيم الحاكم»[3].

إلا أن اللّسان العربي يبقى هو أم اللّغات وتاجها، فهي اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين، على قلب خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسان عربي مبين، المتعبد بألفاظه العربية بإجماع المسلمين، والمعجز ببلاغته العربية لجميع العالمين.

ولقد اختار ـ جلّ وعلا ـ أن يكون القرآن الكريم بلغة العرب؛ لأنها أصلح

(1) ينظر تفسير المراغي 30 / 159، والتحرير والتنوير 30 / 353، والتفسير المعين للمدرسات والمدرسين ص49.

(2) التحرير والتنوير 30 / 353.

(3) أحكام القرآن 4 / 107.

اللغات جمعا للمعاني، وإيجازا في العبارة، وسهولة جري على الألسن، وسرعة حفظ، وجمال وقع في الأسماع، وجعلت الأمة العربية هي المتلقية للكتاب بادئ ذي بدء، وعهد إليها نشره بين الأمم.

ولقد بلّغ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ دعوة ربه كما أُمر، فبدأ بأم القرى، ثم بما حولها من جزيرة العرب وشعوب العجم، باللّسان العربي الذي قضى الله أن يوحد به ألسنة جميع الأمم، فيجعلهم أمة واحدة في العقائد والعبادات، والآداب والشرع واللغة؛ ليكونوا بنعمته إخوانا لا مثار بينهم للعداوات التي تفرق بين الناس بعصبيات الأنساب والأقوام، والأوطان، والألسنة.

فكتب ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتبه إلى قيصر الروم، وكسرى الفرس، ومقوقس مصر بلغة الإسلام العربية. ككتبه إلى ملوك العرب وأمرائهم، وبلّغ أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ما أمر الله به ونشروا الدين بهذه اللغة في كل أقسامه.

فكان الإسلام ينتشر بين شعوب الأرض بلغة العرب، فأقبل المسلمون من غير العرب على تعلم هذه اللغة بباعث العقيدة، ومن أجل إقامة الفرئض، لا سيما فريضة الصلاة التي هي عماد الدين.

فصار تعلم اللغة العربية من ضروريات الإسلام، عند جميع تلك الشعوب والأقوام[1].

الفرق بين اللّغة واللّسان؟

اللّسان العربي المبين في القرآن الكريم هو اللّغة العربية وليس غيرها، ومن الطبعي أن يعبر العرب عن لغتهم بجارحة اللّسان؛ إذ به يكون النطق والإفصاح، وإليه يُحتاج في البيان والإيضاح، قال أبو حيان: «واللّسان في كلام العرب اللّغة»[2].

(1) ينظر تفسير المنار 9 / 269 ـ 270.

(2) البحر المحيط 6 / 596.

والقرآن الكريم لم يستخدم لفظة «اللّغة» أبداً، واستخدم الجذر «ل غ و» إحدىٰ عشرة مرة، ولفظ «اللغو» يُستخدم فيما لا فائدة فيه من الكلام، أو الساقط منه، قال الراغب:» اللَّغْوُ من الكلام: ما لا يعتدّ به، وهو الذي يورد لا عن رويّة وفكر»[1]، ومنه اللّغو في الأيمان أي: ما لا عَقد عليه، قال تعالىٰ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[2] وقد يسمّىٰ كلّ كلام قبيح لغوا، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾[3].

وإذا أراد القرآن التعبير عن اللّغة العربية وغيرها يستخدم مصطلح «اللّسان»؛ إذ إن لفظ اللّسان أصدق من لفظ اللغة وأدق في الإفصاح والبيان عن المكنون الذاتي للمتكلم[4].

والعرب قديما غالبا ما تستخدم لفظ اللّغة بمعنىٰ «اللّهجة» في مفهومنا الآن، فعندما سرد السيوطي ـ رحمه الله ـ في كتابه الإتقان تحت عنوان «فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز» ذكر ألفاظا وقعت في القرآن بغير لغة «لهجة» أهل الحجاز، فنقل عن فحول العرب كلهم يقولون: لغة تميم، وطئ، وبكر، وتغلب، وقيس، وربيعة، وكنانة، وغيرهم[5].

وعندما تتحدث العرب عن اللّغة بمعناها الشامل والمحدد لنوع من الناس، وعرقهم فإنهم غالبا ما يستخدمون لفظ «اللّسان»، فيقولون لسان عربي، ولسان حبشي، ولسان فارسي، وتركي وغيرهم[6].

(1) المفردات مادة لغو 1 / 742.
(2) سورة البقرة الآية 225.
(3) سورة النبأ الآية35، وينظر المفردات مادة لغو 1 / 742 ـ 743.
(4) ينظر مفهوم العالمية ص75.
(5) ينظر الإتقان 2 / 106 ـ 109.
(6) ينظر بحث بعنوان «القرآن الكريم ولفظ اللغة» للسيد محمد الضرير الموقع الإلكتروني=

وقد ورد اللّسان بمعنى اللّغة في القرآن الكريم في ثمانية مواضع:

المؤضِعان الأول والثاني ـ ذُكر مرتين في آية واحدة في سورة النحل، عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

اللّسان: هو اللّغة، فجاءت العجمة والعروبة صفتين للّسان، متغايرتين، لا يفصح أحدهما للآخر، فأشار إلى تغاير الألسن بتغير الأقوام «عربي وعجمي» فاللّسان العربي للعرب مبين، واللّسان العجمي للعجم مبين، لكنه للعرب غير مبين، إبانة ألسنتهم لهم.

قال البغوي: «لسان الذي يلحدون إليه، أي يميلون ويشيرون إليه، أعجمي، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحا، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحا، وهذا لسان عربي مبين، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللّغة لسان»[2].

ثم أشار ـ تعالى ـ إلى وضوح بطلان بهتهم، فاللّسان الذي يميلون إليه بأنه يعلم محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعجميّ، غير بيّن، وهذا القرآن لسان عربيّ مبين، ذو بيان وفصاحة، والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى، معجز باعتبار اللّفظ[3].

فمن أين للأعجمي الذي في نطقه عجمة تتنافى مع الفصاحة القرآنية أن يتذوق بلاغة هذا التنزيل، وما حواه من العلوم، فضلا أن ينطق به، فضلا أن يكون معلما له[4].

= لملتقى أهل التفسير.

(1) سورة النحل الآية 103.

(2) تفسير البغوي 3 /96.

(3) ينظر تفسير الطبري 17 /298، والبحر المديد 3 / 164.

(4) ينظر تفسير لقاسمي 6 /409.

فكيف يُعقل أن تكون قريش أفصح الناس بيانا، وأقواهم حُجّة وبرهانا، وأقدرهم علىٰ الكلام نظما ونثرا، وقد عجزوا بل وعجز العرب جميعهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم بعد ذلك ينسبونه إلىٰ أعجمي ألْكَن؟[1].

وها هنا نكتة لطيفة أشار إليها ابن عاشور ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وافتتاح الجملة بالتأكيد بلام القسم و[قد] يشير إلىٰ أن خاصة المشركين كانوا يقولون ذلك لعامتهم، ولا يجهرون به بين المسلمين؛ لأنه باطل مكشوف»[2].

الموْضِع الثالث ـ في سورة إبراهيم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[3].

لقد اقتضت حكمة الله ـ تعالىٰ ـ ورحمته أن أرسل كل رسول بلغة قومه، متكلما بلغتهم؛ ليفهموه، وليعقل عنه قومُه رسالته، وما هو مبعوث به، وليكون أبيَنَ لهم، فتكون الحجة عليهم، ولا يكون لهم حجة علىٰ الله فيعتذرون بقولهم له لم نفهم ما خوطبنا به[4].

ذلك أن أهل كل لغة لكون رسولهم جاء بلسانهم؛ فهم أهل اللّسان فيفهمونه بلا واسطة، وغيرهم لا يفهمه إلا بوساطتهم[5].

فالله ـ تعالىٰ ـ لحكمته ورحمته بالخلائق لم يُرسل رسولا إلا بلسان القوم الذين أرسل إليهم، ولا أنزل كتاباً علىٰ نبي، أو أرسل رسالة إلىٰ أمّة إلا كانت بلسانها، ليسهُل عليهم فهمها، ولتُقام الحجة عليهم في الدعوة[6].

(1) ينظر تفسير المراغي 14 /140.
(2) التحرير والتنوير 14 /286.
(3) سورة إبراهيم من الآية 4.
(4) ينظر معاني القرآن للزجاج 3 /153، والتبيان في إعراب القرآن 2 /763، وتفسير النسفي 2 /162.
(5) ينظر تفسير المراغي 24 /105.
(6) ينظر تفسير الطبري 1 /11.

قال ابن عاشور: «والتقدير: ما أرسلناك إلا لتبين لهم بلسانهم، وما أرسلنا من رسول إلا ليبين لقومه بلسانهم، فما لقومك لم يهتدوا بهذا القرآن وهو بلسانهم»[1].

ولسائل أن يسأل، كيف التوفيق بين كون ما من نبيّ إلا وأرسل بلسان قومه، وبين أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرسل بلسان عربي مبين للناس كافة، بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2]، ومعلوم أن الناس فيهم العربي، والأعجمي، بل إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أرسل للثقلين إنسهم وجنّهم، على اختلاف ألسنتهم؟.

فأجاب النسفي عن ذاك بقوله: «قلت: لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة، أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة؛ لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالتعيين؛ لأنهم أقرب إليه؛ ولأنه أبعد من التحريف والتبديل»[3].

وقال القرطبي: «أي بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم، ووحد اللّسان وإن أضافه إلى القوم؛ لأن المراد اللّغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجّة للعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[4] وقال صلى الله عليه وسلم: «أُرْسِلَ كُلُّ نَبِيٍّ إِلَى أُمَّتِهِ

(1) التحرير والتنوير 13 /185.

(2) سورة الأعراف من الآية 158.

(3) تفسير النسفي 2 /162.

(4) سورة سبأ من الآية 28، والحديث رواه أبو نعيم في الحلية بهذا اللفظ 5 /117، وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»، كتاب التيمم باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ رقم335 1 /74).

بِلِسَانِهَا، وَأَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِهِ» .[1]

وقال المراغي: «والنبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ وإن أرسل إلى الناس جميعا، ولغاتهم متباينة، وألسنتهم مختلفة، فإرساله بلسان قومه أولى من إرساله بلسان غيرهم؛ لأنهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه لهم، حتى يصير مفهوما لهم كما فهموه، ولو نزل بلغات من أرسل إليهم، وبيّنه لكل قوم بلسانهم، لكان ذلك مظنة للاختلاف، وفتحاً لباب التنازع؛ لأن كل أمة قد تدّعى من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وقد يفضي ذلك إلى التحريف والتصحيف، بسبب الدعاوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون»[2].

الموْضِع الرابع ـ في سورة مريم، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[3].

فيحتمل أن يكون معنى اللّسان في هذه الآية هو بمعنى الجارحة كما ذهب إلى ذلك بعض أهل التفسير، كالطبري وغيره.

قال الطبري: «فإنما يسَّرنا يا محمد، هذا القرآن بلسانك، تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنّة»[4].

وقال البغوي: «روى الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ـ عز وجل ـ»[5].

ويحتمل أن يكون اللّسان هنا بمعنى اللّغة، أي: لقد يسّر الله ـ تعالى ـ القرآن، وأنزله بلسان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولغته، وهو اللّسان العربي، ليتيسّر

(1) تفسير القرطبي 9 /340.
(2) تفسير المراغي 13 /126.
(3) سورة مريم الآية97.
(4) تفسير الطبري 18 / 263.
(5) تفسير البغوي 27 / 85.

عليهم فهمه، ويكون سهلا لمن أراد تدبره، وتأمله[1].

وقال ابن كثير: «فإنما يسرناه يعني القرآن بلسانك أي يا محمد وهو اللّسان العربي المبين الفصيح الكامل لتبشر به المتقين أي المستجيبين لله، المصدقين لرسوله»[2].

قال ابن عاشور: «فإن نزول القرآن بأفضل اللّغات وأفصحها هو من أسباب فضله علىٰ غيره من الكتب وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب»[3].

المؤضِع الخامس ـ في سورة الشعراء وهو قوله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[4].

فالقرآن نزل بلسان العرب التي يتقنونها أيما إتقان، بل يقيمون لها سوقا يتنافسون بها، فالعرب أولىٰ من غيرهم في معرفة مدىٰ ما يملك البشر أن يقولوا، وهم يدركون كل الإدراك أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وإن كان بلغتهم، وأن هذا القرآن بمعانيه وتناسقه، ليؤكد بأنه آت من مصدر غير بشري بيقين.

ومعنىٰ الآية: أي لتنذر ـ يا محمد ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ قومك بلسانهم العربي المبين ـ لسان قريش ـ فيتبين لمن سمعه أنه عربي فصيح، فيفهم سامعه مقصوده بلا غموض ولا إشكال؛ إذ لو كان غير عربي ما فهموه، ولا قامت عليهم به حُجّة. فهو واضح المعنىٰ، جليّ المفهوم، قاطع للعذر، مقيم للحجة، دليل إلىٰ المحجة.[5]

(1) ينظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 7 /264، وتفسير القرطبي 11 /161، والبحر المديد 3 /368.

(2) تفسير ابن كثير 5 /236.

(3) التحرير والتنوير 16 /175.

(4) سورة الشعراء الآية195.

(5) ينظر تفسير الطبري 19 /396، وتفسير البغوي 3 /478، والدر المنثور 6 /322، وتفسير القاسمي 7 /475.

الموْضِع السادس ـ في سورة الروم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾[1].

إن الاختلاف في ألسن الناس بين الإفصاح والإبهام سنة كونية، كاختلاف الألوان بين البشر. فجعل ـ سبحانه ـ للعرب لساناً، ولفارس لساناً، وللروم لساناً، وهكذا سائر الأمم لهم لسانهم، وجعل منهم الأبيض، والأحمر، والأسود.

فالله ـ تعالىٰ ـ يخاطب ويوجههم إلىٰ التفكّر والتأمل بأن اختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها، واختلاف ألوان أجسامكم وأشكالها، كل ذلك فيه دلالة واضحة علىٰ أن لهذا الكون خالقاً، وأن هذا الخالق قادر علىٰ إعادتهم لهيئتهم التي كانوا عليها قبل مماتهم من بعد فنائهم[2].

فاختلاف الألسنة إشارة إلىٰ اختلاف اللّغات، بأجناس النطق وأشكاله، وإلىٰ اختلاف النغمات كذلك، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر[3].

فاختلاف الألسنة سببه القرار بأوطان مختلفة متباعدة، واختلاف الألوان سببه اختلاف الجهات المسكونة من الأرض[4].

قال ابن عاشور: «واختلاف لغات البشر آية عظيمة، فهم مع اتحادهم في النوع كان اختلاف لغاتهم آية دالة علىٰ ما كوّنَه الله في غريزة البشر من اختلاف التفكير، وتنويع التصرف في وضع اللغات، وتبدل كيفياتها باللّهجات، والتخفيف، والحذف والزيادة، بحيث تتغير الأصول المتحدة إلىٰ لغات كثيرة.

(1) سورة الروم الآية 22.
(2) ينظر تفسير الطبري 20 /87.
(3) ينظر المفردات للراغب الأصفهاني مادة لسن 1 /740.
(4) ينظر التحرير والتنوير 21 /72.

فلا شك أن اللّغة كانت واحدة للبشر حين كانوا في مكان واحد، وما اختلفت اللّغات إلا بانتشار قبائل البشر في المواطن المتباعدة، وتطرق التغير إلى لغاتهم تطرقا تدريجيا، على أن توسع اللّغات بتوسع الحاجة إلى التعبير عن أشياء لم يكن للتعبير عنها حاجة، قد أوجب اختلافا في وضع الأسماء لها.

فاختلفت اللّغات بذلك في جوهرها، كما اختلفت فيما كان متفقا عليه بينها باختلاف لهجات النطق، واختلاف التصرف، فكان لاختلاف الألسنة موجبان. فمحل العبرة هو اختلاف اللّغات مع اتحاد أصل النوع»[1].

الموْضِع السابع ـ في سورة الدخان، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

قال أبو منصور: «فإنما يسرناه على لسانك كي تذكره وتحفظه بلا كتابة ولا نظر في كتاب؛ لأنه ذُكر أنه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ: يحفظ سورة طويلة إذا تلا عليه جبريل – صلوات اللَّه عليه – وقد آمنه اللَّه – سبحانه وتعالى – عن النسيان بقوله – تعالى –: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾»[3].

وإلى هذا المعنى ذهب الطبري، وغير واحد من أهل التفسير، قال الطبري: «فإنما سهَّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحُججه، ويتَّعظوا بعظاته، ويتفكَّروا في آياته»[4].

والقول الثاني: أن يكون اللّسان هنا بمعنى اللّغة، قال أبو منصور: «فإنما أنزلنا القرآن بلسانك ويسّرناه للذكر؛ ليلزمهم التذكر؛ لأنه أنزله بلسانه

(1) التحرير والتنوير 21 / 72 ـ 73.
(2) سورة الدخان الآية 58.
(3) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 9 /15، والآية من سورة الأعلى (6).
(4) تفسير الطبري 22 /55.

ويسّره لقومه؛ لأنه لو كان منزلا بغير لسانه، لم يكن ميسرًا لهم للذكر، وهو ما ذكر في آية أخرىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾[1]، أخبر أنه يسّره للذكر؛ لأنه يسّره باللّسان»[2].

أي: سهلنا القرآن بلغتك العربية عليك، وعلىٰ من يقرؤه، ومكّناكم من فهمه؛ لأنه بلسانكم، واللّسان هو لسان العرب، ولكن أضيف للنبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ عناية بجانبه، وتعظيم لقدره، وفي ذلك دلالة ـ أيضاً ـ أنه ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ أفصحهم، وأبلغهم، وكيف لا؟ وهو قد أوتي جوامع الكلم[3].

والملحظ الخفي بين هذه الآية، وبين قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[4]. والله أعلم ـ أن آية مريم جاء ذكر التيسير في معرض الاحتجاج من إقامة الحجة علىٰ كفّار العرب، وقطع أعذارهم، أما هاهنا فقد جاء ذكْر التيسير من باب تذكير المشركين بنعمة الله عليهم، بأن هذا القرآن نزل بلسانهم الذي يتكلمون به فلا صعوبة عليهم في فهمه، وإتقانه، وإدراك معانيه، والغوص في أسراره؛ إذ لو جاءهم بغير هذا اللّسان، لانقطعت صلتهم به، ولصعُب عليهم تذوقه، والعيش في جنّاته، وقطف رياحينه، وثماره، ولنال هذا الشرف غيرهم، وهي نعمة علىٰ الأمة العربية وأي نعمة؛ لذلك قال تعالىٰ في أعقاب هذه المنّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5].

---

(1) سورة القمر من الآية 17.

(2) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 9 /15.

(3) ينظر تفسير القرطبي 16 /155، وتفسير التحرير والتنوير 25 /321، والدلالة الأخيرة استفدتها من تعليقات الدكتور عبد الله النقراط علىٰ البحث فبارك الله فيه.

(4) سورة مريم الآية 97.

(5) سورة الدخان الآية 58.

وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ عبد الكريم الخطيب عندما قال: «هذا الختام هو دعوة للمشركين أن يأخذوا حظّهم من هذه الرحمة المنزلة عليهم من السماء، والتي يسّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ مواردهم إليها، فجعل القرآن بلسان عربي مبين، ولو كان بغير اللّسان العربي، لما كان لهم سبيل إليه»[1].

الموْضِع الثامن ـ في سورة الأحقاف وهو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[2].

مصدق لكتاب موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من غير أن يكون من نزل عليه القرآن متعلماً للتوراة، أو مطلعاً عليها، والتصديق ها هنا باتحاد المعنى، والأصل الذي سلكتْه كل الشرائع والكتب.

والإشارة إلى عروبة القرآن، مع أنه أمر معلوم الدلالة، وذلك للامتنان على العرب، وتذكيرهم بنعمة الله عليهم، ورعايته لهم، وعنايته بهم، ومظهرها اختيارهم لهذه الرسالة، واختيار لغتهم لتتضمن هذا القرآن العظيم[3].

والمعنى: وهذا القرآن ذو لسان عربي، مصدق لما جاء في التوراة بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسل من عند الله، وأن ما جاء به من عند الله حقّ[4].

قال القرطبي: «﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: يعني القرآن، مُصَدِّقٌ: يعني للتوراة، ولما قبله من الكتب، وقيل: مصدق للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِسَانًا عَرَبِيًّا منصوب على الحال، أي مصدق لما قبله عربيا، ولسانا توطئة للحال أي تأكيد، كقولهم: جاءني زيد رجلا صالحا، فتذكر رجلا توكيدا.

وقيل: نصب بإضمار فعل تقديره: وهذا كتاب مصدق أعني لسانا عربيا، وقيل: نصب بإسقاط حرف الخفض تقديره: بلسان عربي.

(1) التفسير القرآني 13 /219.
(2) سورة الأحقاف الآية 12.
(3) ينظر تفسير القاسمي 8 /443.
(4) ينظر تفسير الطبري 22 /109، ومعاني القرآن للزجاج 4 /441.

وقيل: إن لسانا مفعول، والمراد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أي: وهذا كتاب مصدق للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأنه معجزته، والتقدير: مصدق ذا لسان عربي. فاللّسان منصوب بمصدق، وهو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويبعد أن يكون اللّسان القرآن؛ لأن المعنى يكون يصدق نفسه»[1].

المطلب الرابع ـ اللّسان بمعنى الذكر والصيت

الذكر الحسن هو الحياة الثانية للإنسان، لذلك كان حبّ الثناء أمراً جبلياً في أي إنسان مسلم أو كافر، ذكر أو أنثى، وسعي الإنسان للثناء، وبقاء الأثر له من بعده، أمر لا تخطئه العين.

فكان من نعم الله ـ تعالى ـ على خلقه أن جعل لهم ذكرا حسنا، وصيتا واسعا في الدنيا، يبقى للمرء بعد وفاته، فيكون للمسلم زيادة لحسناته، ويكون الذكر الحسن للكافر ـ كما هو مشاهد من ذكر حسن لبعض الكفار ـ من مخترعي أشياء صالحة للبشرية وغيرهم ـ يكون هذا الذكر من باب تعجيل الطيبات لهم ـ ولا يظلم ربنا أحداً ـ.

وقد يأتي لفظ اللّسان بمعنى الذكر والصيت، ولكنه لابد وأن يضاف لكلمة «صدق» حتى ينصرف لهذا المعنى، لسان صدق: أي ذكرا حسنا، أطلق اللّسان وعبر به عن الذكر؛ لأن اللّسان آلة للذكر[2].

وقد جاء اللّسان في القرآن الكريم بمعنى الذكر الحسن في آيتين، ولم أذكرهما على ترتيب المصحف ـ خلافا لغيرهما ـ بل راعيت ترتيب المعنى فيهما، فالأولى دعاء، والثانية إخبار من الله بأنه استجاب الدعاء:

الآية الأولى ـ قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[3].

أي اجعلني ذا جاه، وذكر جميل مطابق للواقع، وصيت حسن في الدنيا بحيث

(1) تفسير القرطبي 16 /190.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن 2 /283.

(3) سورة الشعراء الآية 84.

يبقى أثره إلى يوم الدين، ويُقتدى بي في الخير، فلا أُذكر في جميع الأمم من بعدي إلا بالخير، ويكون لسان الآخرين في ثنائي صادقا.

ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له، ومثنية عليه، فحصل بالأول الجاه وبالثاني حسن الذكر[1].

فلسان الصدق: هو لهجة الصدق، والذكر الصدق، والثناء الصالح، في الآخرين من الناس، والأمم[2].

قال المراغي: «أي ذكرا جميلا بين الناس بتوفيقي إلى الطريق الحسنة حتى يقتدى بي الناس من بعدي، وهذا هو الحياة الثانية كما قال: قد مات قوم وهم في الناس أحياء»[3].

وعبّر عن الثناء الحسن والقبول العام باللّسان، لكون اللّسان آلة للذكر، وسببا في ظهوره وانتشاره، وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر.

وقد استجاب الله دعاءه، فليس من أهل دين إلا وهم يتولونه ويحبونه، وقد جعل الله في ذريته أنبياء ورسلا يذكرونه وتذكره الأمم التابعة لهم، ويخلد ذكره في الكتب.

قال القرطبي: «أراد الدعاء الحسن إلى قيام الساعة، فإن زيادة الثواب مطلوبة في حقّ كل أحد.

قلت: وقد فعل الله ذلك إذ ليس أحد يصلّي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا وهو يصلي على إبراهيم وخاصة في الصلوات، وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات، والصلاة دعاء بالرحمة، والمراد باللّسان القول»[4]؛ لأن القول يكون به.

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود 6 /250.

(2) تفسير الطبري 365/19، والبرهان في علوم القرآن 2 /283.

(3) تفسير المراغي 19 /73.

(4) تفسير القرطبي 13 /113.

قال ابن عاشور: «ثم سأل بقاء ذكر له حسن في الأمم والأجيال الآتية من بعده، وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال، وطلب نشر الثناء عليه، وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته؛ لأن الثناء عليه يستعدي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوه من زكاء نفسه»[1].

وقال أبو زهرة: «الآخرين أي الذين يجيئون بعده، و﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾[2] فيه إضافة اللّسان للصدق أي بأن يكون الصدق مستغرقا له، بحيث لَا يقال عنه إلا ما هو صدق، وأن يكون اللّسان صادقا دائما، وأن يمتد الصدق منه وفيه إلى ما بعده، وإن لسان الصدق يكون بعده يكون بأمور:

منها أن يكون ذكره حسنا صادقا من بعده، بأن يكون أثرا محموداً من بعده، ويكون نافعا بعد مماته كما كان نافعا في حياته، ومنها أن تكون دعوته إلى الحق باقية من بعده يرددها الناس، ويدعون إليها، ومنها أن تكون له محبة ومودة بين الناس من بعده، كما كانوا يودونه في حياته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[3]. هذا، وإن النصّ الكريم يدل على أن حبّ المحمدة بين الناس ليس أمراً غير صالح ما دام يقصد إليها النفع والخير، وعموم الإصلاح، وما دام لَا يتعالى ولا يستطيل على الناس»[4].

فكل من أخلص وجهه لله ـ تعالى ـ، وتخلّصت سريرته مما سوى الله ـ جلّ وعلا ـ، وكان إبراهيمياً حنيفيا، كان أهلاً لأن يجعل الله له لسان صدق فيمن يأتي بعده، وسخّر الله له ألسنة تلهج بالثناء عليه في حياته، وبعد مماته[5].

فدعوة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هاهنا، استجاب الله لها، وجعل له ولذريته، لسان صدق عليا، وقد أخبر الله بذلك في سورة مريم.

(1) التحرير والتنوير 19 /143 ـ 144.
(2) سورة الشعراء من الآية 84.
(3) سورة مريم الآية 96.
(4) زهرة التفاسير 10 / 5369.
(5) ينظر: البحر المديد 4 /144.

الآية الثانية ـ قوله تعالىٰ في سورة مريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1].

هذه الآية من بركة دعاء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الآية التي سبقتها، والتي طلب من ربه أن يجعل له ذكرا حسنا، فأخبر الله ـ تعالىٰ ـ أنه استجاب له دعاءه، وجعل له ولذريته ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[2].

والمعنىٰ: لقد أبقينا لآل إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثناء حسناً، باقياً في الناس، رفيعاً في أهل الأديان، فكل أهل دين، وملّة يذكرونهم، ويثنون عليهم ويحسنون الثناء، ويفتخرون بهم، فهو ثناء خير وتبجيل، وصاروا سنة يقتدي بهم من بعدهم، وثناء عليهم من بعدهم ذكرا حسناً، وثناء باقيا في الناس ما دام فيهم مسلم موحد، ومن صور هذا التخليد في الذكر هو الصلاة علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم في كل صلاة، وعبّر باللّسان عما يوجد باللّسان، كما يُعبر باليد عما يطلق باليد وهي العطايا.

وإضافة هذا اللّسان وهو الذكر والثناء إلىٰ الصدق؛ للدلالة علىٰ أنهم أهل بما يثني عليهم، مستحقون له، وأن مجاهدتهم في الله لا تخفىٰ[3].

فهذا الذكر والثناء علىٰ إبراهيم وآله هو كلمة صدق، وحق ثابت، مطابق للواقع، فهو مدح في موضعه، وثناء بحق لا مجاملة فيه[4].

ووصفه بالعلوّ لشرف ذلك الثناء، ورفعته بين أهل الملل، وشهرته، قال الطبري: «وإنما وصف ـ جل ثناؤه ـ اللّسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان، تعني ثناءه

(1) سورة مريم الآية 50.
(2) سورة مريم الآية 50.
(3) ينظر: معاني القرآن للزجاج 3 /333، والبحر المديد 3 /339، وتفسير النسفي 2 /340، وتفسير البغوي 3 /237، والتحرير والتنوير 16 /123.
(4) ينظر: تفسير القاسمي 7 /103، وتفسير الشعراوي 15 /9113.

أو ذمه»[1].

فمحامدهم مذكورة في جميع الأزمان، سطّرها الدهر على صفحاته، استجابة لدعوة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[2].

فكانوا صادقين في دعوتهم، مسموعي الكلمة في قومهم، يؤخذ قولهم بالطاعة وبالتبجيل[3].

المطلب الخامس ـ اللّسان بمعنى الدعاء

وقد جاء اللّسان بمعنى الدعاء في آية واحدة، وهي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[4].

الملعون: هو المحروم من لطف الله وعنايته، البعيد عن رأفته وشمول رحمته، فكفار بني إسرائيل استحقوا الطرد من رحمة الله، بسبب دعاء أنبيائهم عليهم؛ لتمردهم وعصيانهم وغلوهم، وبسبب استمرارهم في البغي والعدوان، فكذبوا بعض أنبيائهم، وبالغوا في إيذاء آخرين؛ بل وقتلوا بعض الأنبياء، فحق عليهم عذاب الله ووعيده، فمسخهم الله بدعاء أنبيائهم عليهم بمجاوزتهم للحق واعتدائهم، فصاروا قردة وخنازير[5].

والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم أرأف الناس بالناس، وأكثرهم حباً للخير لهم، وعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان من أشد الأنبياء اعتذاراً لقومه ورحمة، ولقد أثبت الله له هذا الخُلق في قوله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6] إلا أن بعض بني إسرائيل بلغوا من الكفر والتكذيب حدّاً

(1) تفسير الطبري 18 /208.
(2) سورة الشعراء الآية 84.
(3) ينظر: تفسير المراغي 16 /59.
(4) سورة المائدة الآية 78
(5) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) 3 /570.
(6) سورة المائدة الآية 218.

استحقوا أن يُدعىٰ عليهم من أنبيائهم، وأن يُلعنوا علىٰ لسانهم.

فلعنوا علىٰ لسان داود فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: اللهم العنهم واجعلهم آية، فصاروا قردة، ولُعنوا علىٰ لسان عيسىٰ، فلعن ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحاب المائدة، الذين كفروا بهذه الآية فلم يؤمنوا بها، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: اللهم العنهم واجعلهم آية فصاروا خنازير، فلعنوا بكل لسان، ولعنوا علىٰ عهد محمد ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ في القرآن[1].

قال القاسمي: «أي: لسانيهما. وأفرد لعدم اللبس، إن أريد باللسان الجارحة، وقيل: المراد به الكلام وما نزل عليهما»[2].

وقال الجصاص: «إن فائدة لعنهم علىٰ لسان الأنبياء إعلامهم الإياس من المغفرة مع الإقامة علىٰ الكفر والمعاصي؛ لأن دعاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ باللعن والعقوبة مستجاب»[3].

الخاتمة:

الحمد لله خلق الإنسان، ورزقه آلة البيان، أحمده سبحانه محمود بكل لسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديّان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفصح الناس لسانا، وأفضلهم بيانا.

أما بعد: ففي ختام هذا البحث لا يسعني إلا أن أقول: إن هذا القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يُدرك قعره، وكلما غاص فيه الباحث أدرك عمقه وسعته، كيف لا؟ وهو كلام ربي الذي وسع كل شيء علما.

وأنا علىٰ يقين أن لفظ «اللّسان» الذي تناولْته في هذا البحث، لا يزال حديقة غناء لمن يريد الاستزادة من جوانب عدة. وفيما يأتي النتائج التي توصلت إليها

(1) ينظر: تفسير الطبري 10 /490، وتفسير البغوي 2 /72، و الدر المنثور في التفسير بالمأثور 3 /126.

(2) تفسير القاسمي 2 / 221.

(3) أحكام القرآن 2 / 563.

في هذا البحث:

ورد لفظ اللّسان في القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة، في ثماني عشرة سورة، سبعا منها مدنية، وإحدىٰ عشرة مكية، تنوعت فيها المعاني، وتصرفت فيها الألفاظ.

فجاء بمعنىٰ الجارحة في ثلاث عشرة آية، ثماني آيات منها تذكر اللّسان أنه استُعمل في الشر، وفي ما يردي صاحبه، وأربع آيات استعين فيه علىٰ فعل الخيرات، والدعوة إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ، وجاء مرة واحدة في معرض المنّ من الله علىٰ عباده بخلقه.

وجاء بمعنىٰ اللّغة تسع مرات، في ثماني آيات، وجاء بمعنىٰ الثناء الحسن، والذكر وبقاء الأثر في آيتين، وجاء بمعنىٰ الدعاء في آية واحدة.

توصية:

وإن كان من توصية في ختام البحث فهي: «هلمّوا يا طلاب، لدراسة التفسير الموضوعي، سواء أكان الذي يدرس موضوعا معينا، أما الذي يدرس لفظا مخصوصا، فكلا الأمرين محتاج لكثير بحث، وكبير همة تفنىٰ الأعمار فيها، وحبذا عمر قد فني في كتاب الله تعالىٰ.

وختاماً:

أتوجه لله ـ تعالىٰ ـ أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصا له ـ سبحانه ـ، وأن يبارك في من كان سببا في دراسته، وهو الدكتور عبد الله النقراط.

سائلاً له ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يجعل لساني رطبا بذكره إلىٰ حلول الأجل، وأن يبارك لي في الوقت والعمل، وأن يغفر لي الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

==========

مصادر البحث ومراجعه

1 ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2 ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1394هـ ـ 1974 م.

3 ـ أحكام القرآن ـ أحمد بن علي الجصاص ـ تحقيق: عبد السلام شاهين ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1415هـ/1994م.

4 ـ أحكام القرآن ـ محمد بن العربي المالكي ـ دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

5 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود العمادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

6 ـ الإفصاح عن أحاديث النكاح ـ أبو العباس ابن حجر الهيتمي ـ تحقيق: محمد شكور ـ دار عمار ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ـ 1406هـ.

7 ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ـ أبو نصر سعد الملك ابن ماكولا ـ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى ـ 1411هـ – 1990م.

8 ـ إيجاز البيان عن معاني القرآن ـ أبو القاسم النيسابوري ـ تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى – 1415 هـ.

9 ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ـ أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي ـ تحقيق: أحمد رسلان ـ حسن عباس زكي ـ القاهرة ـ الطبعة 1419 هـ.

10 ـ البرهان في علوم القرآن ـ محمد أبو عبد الله الزركشي ـ تحقيق: أبي الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة – بيروت ـ 1391هـ.

11 ـ بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ـ د عبد الله محمد النقراط ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ سوريا ـ 1423هـ.

12 ـ التبيان في إعراب القرآن ـ أبو البقاء عبد الله العكبري ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

13 ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت – الطبعة الأولى ـ 1420هـ ـ 2000م.

14 ـ تفسير ابن عرفة ـ أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي المالكي ـ تحقيق: جلال السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت – الطبعة الأولى ـ 2008 م.

15 ـ تفسير الشعراوي ـ محمد متولي الشعراوي ـ مطابع أخبار اليوم ـ مصر ـ1997 م.

16 ـ التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم يونس الخطيب ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

17 ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ـ تحقيق: سامي بن محمد سلامة ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية ـ 1420هـ – 1999 م.

18 ـ تفسير الماتريدي ـ أبو منصور الماتريدي ـ تحقيق: مجدي باسلوم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1426 هـ – 2005 م.

19 ـ تفسير المراغي ـ أحمد بن مصطفى المراغي ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ 1365 هـ – 1946 م.

20 ـ التفسير المظهري ـ محمد ثناء الله المظهري ـ تحقيق: غلام نبي التونسي ـ مكتبة الرشدية ـ الباكستان ـ 1412 هـ.
21 ـ التفسير المعين للمدرسات والمدرسين لأواخر سور الكتاب المبين ـ خالد محمد كارة ـ تحت الطبع.
22 ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1990 م.
23 ـ تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ـ تحقيق: محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 2001م.
24 ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن السعدي ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ـ 1420هـ ـ2000م.
25 ـ جامع البيان في تأويل القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ـ 1420 هـ ـ 2000 م.
26 ـ الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ 1384هـ ـ 1964 م.
27 ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـ أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ـ تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1418 هـ.
28 ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم الأصبهاني ـ دار السعادة ـ 1394هـ ـ 1974م.
29 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت.
30 ـ ديوان الأخطل ـ تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية ـ 1994م.
31 ـ ديوان الحطيئة ـ تحقيق: نعمان طه ـ مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الأولى ـ 1958م.
32 ـ ديوان طَرَفة بن العبد ـ تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثالثة ـ 1423 هـ ـ 2002 م.
33 ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ـ تحقيق: محمد جبار ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد ـ بغداد ـ 1965م.
34 ـ زاد المسير في علم التفسير ـ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1422 هـ.
35 ـ زهرة التفاسير ـ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي.
36 ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة المعارف ـ 1995م.
37 ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ دار المعارف ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ـ 1412 هـ ـ 1992م.
38 ـ سنن ابن ماجه ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية.
39 ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.
40 ـ سنن الترمذي ـ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.
41 ـ شعب الإيمان ـ أبو بكر البيهقي ـ تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ـ 1423 هـ - 2003 م.
42 ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ـ دار طوق النجاة ـ الطبعة الأولى ـ 1422هـ.
43 ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.
44 ـ صحيح مسلم ـ أبو الحسن مسلم بن الحجاج ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
45 ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: عبد السلام التونجي ـ جمعية الدعوة الإسلامية ـ ليبيا ـ الطبعة الأولى ـ 1995 م.
46 ـ عيون الأخبار ـ أبو محمد عبد الله بن قتيبة ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ 1418 هـ.
47 ـ غريب الحديث ـ أبو الفرج ابن الجوزي ـ تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي ـ دار الكتب العلمية - بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1405هـ - 1985م.
48 ـ فقه اللغة وسر العربية ـ أبو منصور عبد الملك الثعالبي ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى ـ 1422هـ - 2002م.
49 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ جار الله محمود الزمخشري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة - 1407 هـ.
50 ـ لباب التأويل في معاني التنزيل ـ أبو الحسن علاء الدين الخازن ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1415 هـ.
51 ـ اللباب في علوم الكتاب ـ أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ـ 1419 هـ - 1998 م.
52 ـ لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.
53 ـ مجموع الفتاوى ـ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية ـ تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة النبوية ـ 1416هـ 1995م.
54 ـ محاسن التأويل ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ تحقيق: محمد باسل ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت ـ الطبعة الأولى - 1418 هـ.
55 ـ المخصص ـ أبو الحسن ابن سيده كاملا ـ تحقيق: خليل إبراهيم جفال ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ـ 1417هـ ـ 1996م.
56 ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ أبو البركات عبد الله النسفي ـ تحقيق: يوسف بديوي ـ دار الكلم الطيب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ 1419 هـ - 1998 م.
57 ـ المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م.
58 ـ معالم التنزيل ـ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الرابعة ـ 1417 هـ - 1997 م.
59 ـ معاني القرآن وإعرابه ـ أبو إسحاق الزجاج ـ تحقيق: عبد الجليل شلبي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
60 ـ معاني القرآن ـ أبو زكريا الفراء ـ تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة

– مصر ـ الطبعة الأولى.
61 ـ المعجم الأوسط ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ـ دار الحرمين – القاهرة.
62 ـ معجم مقاييس اللغة ـ أبو الحسين أحمد بن فارس ـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر ـ 1399هـ - 1979م.
63 ـ المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ـ دار الدعوة.
64 ـ المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ تحقيق: صفوان عدنان الداودي ـ دار القلم ـ دمشق ـ الطبعة الأولى - 1412 هـ.
65 ـ المفضليات ـ المفضل بن محمد الضبي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة السادسة.
66 ـ مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية ـ د. فريد الأنصاري ـ دار السلام للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ـ 2006م.
67 ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ـ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ـ تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى - 1404هـ - 1984م.
68 ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت - الطبعة الأولى ـ 1415 هـ - 1994م.